مناقشة مع منظري منطق القبول "بشروط روجرز" للاستسلام

■ ما هي النقاط الاساسية التي يستند اليها منطق القابلين بالحل السلمي ؟

واجه شعبنا العربي مرحلة من اشد مراحل تاريخه خطورة ، تترتب على كيفية تصديه لها نتائج مصيرية لا تؤثر على حاضره وقضاياه الوطنية المعاصرة وحسب ، بل وعلى فترة غير منظورة النهاية من مستقبله .. وان خطورة كهذه لتفرض على كل تقدمي ووطني اكبر من المسؤوليات وتدفعه الى التصرف بكثير من الجدية والصدق .. وعلى اساس من هذا الوعي لمصيرة المرحلة وخطورتها سنتجاوز في مواجهتنا لحملة الدفاع عن « الحل السلمي » كل انواع السباب والشتائم التي تزخر بها تلك الحملة .. فسنتجاوز امين الاعور الذي ينسى لدى مطالبته الجماهير باستذكار التاريخ وتقدير البطولات الوطنية التي خاضها الشعب العربي الجماهير مبصرة اكثر منه وانها ترى التاريخ من جميع زواياه وتتذكر بالطبع كيف كان امين الاعور ذاته في فترة البطولات المنصودة مصرا على انهام الرئيس عبد الناصر بشتى ما في جعبته من تهم وشتائم هي واسماله الوحيد الذي ينتقل به من جهة الى جهة اخرى على موائد الارتزاق .. كما اننا سنتجاوز ايضا البيانات المغفلة التي تندد « بتدريس الشاي في المعسكرات » مستكثرة « الشدة وطنيتها » الشاي على الفدائيين الذين كانوا وما يزالون القوة العربية الاكثر اصرارا على القتال والتي تقاتل فعلا ، لا في الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ وحسب بل وفي الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ ..

سنتجاوز كل ذلك حتى نصل الى الخطة الجديدة الشاملة للدفاع عن الحل السلمي التي وضعها هيكل وحمل جريدة « النهار » مسؤولية تعميمها .. ولا غرابة في تحميل « النهار » مثل هذه المسؤولية « التقدمية » لقبول المقترحات الامريكية قد اعاد حتى الشيخ بيار الجميل الى الصف « العربي » وجعل « الصحف الوطنية » تتسابق الى نشر مديحه بالموقف العربي « الجريء » .. فماذا يقول هيكل في خطته الجديدة التي تأتي الآن بعد سقوط النبغات الاولى من نفاث الدفاع عن الحل السلمي وفي مقدمتها نغمة « التكتيك » ونغمة وجود مقاومتين : « شريفة وغير شريفة » ..؟

مقترحات روجرز وقرار مجلس الامن

■ لا شك أن محمد حسنين هيكل قد اخذ بعين الاعتبار ما واجه موجة الدفاع الاولى من ردود فعل ومن تناقضات ، فجاء في خطته الجديدة بسقط ما سقط ويؤكد ما اكتشف فيه قدرة الاستمرار ، من المقولات والتجاوزات المتعددة على المقاتلة .. والملاحظة الاولى على خطة هيكل هي انه يذهب شوطا ابعد في طريق تمويه المشروع الامريكي من خلال اللاعب في التسميات المطاطة له .. فقد بدأ المشروع «مشروعا امريكيا لحل النزاع في الشرق الاوسط» .. ثم صار « مقترحات لتحريك الوضع السياسي في المنطقة » ثم « مبادرة امريكية » ثم « اجراءات تستهدف وضع قرار مجلس الامن موضع التنفيذ » .

وبالوصول الى موقع الربط بين قرار مجلس الامن وبين المقترحات الامريكية ، يستثني هيكل من المقترحات ويبدأ حديثه عن قرار مجلس الامن بالاجابة عن السؤال التالي :

« س : عندما قبلت مصر قرار مجلس الامر كانت مضطرة بسبب خروجها من نكسة ، لكنها عندما قبلت مقترحات روجرز فان وضعها كان مختلفا كثيرا . اليس من حق الجماهير العربية ان تسائل : كيف يحصر قبول المقترحات الامريكية في ظل انتصارات عسكرية براقة ابرزها اسقاط عدد من طائرات الفانتوم واسر عدد من الطيارين ؟

● ج : عندما صدر قرار مجلس الامن يوم ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ ، لم يكن يمثل قوانا الذاتية . كان صدوره في ذلك الوقت اكثر مما نستحق . وبعد ثلاث سنوات قاتلنا ونجحنا واسقطنا طائرات فانتوم واسرنا طيارين . لكن لا يزال المطلوب منا قتالا اكثر لكي ينفذ قرار مجلس الامن » .

لا بد من الوقوف قليلا امام اجابة هيكل هذه واكتشاف ما فيها من « حقائق » وما تؤدي اليه من توجهات ..

١ ـ نحب ان نذكر جميع القراء دون استثناء بالمناخ الذي اشاعه او ساهم في اشاعته السيد محمد حسنين هيكل ليبرر القبول بقرار مجلس الامن ، يوم طرح ولاول مرة موضوعه حول ان « الاسرائيلي اتفاق لا بد وان يعكس حجوم القوى في الطرفين وان قرار مجلس الامن لا يخرج عن هذه القاعدة ، فهو يعكس قوة اسرائيل وضعف العرب ايام صدوره اذن هو وفق موضوعة هيكل ذاتها لا يحاول اعداء عروبة مصر اشاعة مثل ذاتها استشهاد ابطال عرب من مصر في حرب ٤٨ وفي ٦٧ كان بدون قضية ؟. وان ثورة ٢٣ يوليو التي استندت على قضية فلسطين وكانت رد فعل على خيانة الحكم المصري الرجعي عام ١٩٤٨ لتلك القضية ، انها كانت بدون سند .. اذ ان ارتباط عروبة مصر بقضية فلسطين ينتهي في حدود الانسحاب من الاراضي التي احتلت عام ٦٧ ؟.

٢ ـ واذا كان قرار مجلس الامن « اكثر مما نستحق » فلماذا وافقت عليه الولايات المتحدة التي لم يبد يوما انها حريصة على ما نستحق فكيف على ما هو « اكثر ما نستحق » حتى توافق ولا تكتفي بالموافقة ، بل تضمن التنفيذ كما جاء في خطاب الرئيس جمال عبد الناصر ؟..

٣ ـ في الشق الثاني من الجواب يقول هيكل : « هنالك نقطة اساسية . اذا اراد العرب ان يتراجعوا عن قرار مجلس الامن فمن السهل عليهم تنفيذ ذلك بكلمة . اما اذا ارادت اسرائيل ان تتراجع عن تنفيذ القرار فانها مضطرة الى خوض حرب جديدة تستولي فيها مرة اخرى على الارض التي تكون قد انسحبت منها بموجب القرار . اننا على اية حال لا نزال في حاجة الى انتصارات اخرى لتحقيق قرار مجلس الامن. ان اسرائيل تريد التوسع. والانسحاب هو النقطة التي ستكون اساس المشكلة .. » ..

هكذا تصبح مقترحات روجرز منسية .. وتستحيل الى قرار مجلس الامن ، وتختفي حجوم القوى من التأثير على التعاقد في حينه ، ليصبح القرار عاكسا لحجوم قوى لم تصل اليها ويصبح القرار بالتالي مهمة عربية تحتاج الى المزيد من القتال والمزيد من التضحيات .

٤ ـ يتحدث هيكل عن الانسحاب وكأنه البند الوحيد الوارد في قرار مجلس الامن او مقترحات روجرز .. وفي حديثه بهذا الشكل يضع واحدا من اثنين في موضع الغباء الكامل : اما اسرائيل او الجماهير العربية ..

فلا شك أن اسرائيل والولايات المتحدة ستكونان غيبتين حتى ابعد حدود الغباء اذا كان تنفيذهما لقرار مجلس الامن سيدور فقط حول الانسحاب ويترك للعرب فرصة الرجوع بكلمة .. الامر غير الممكن الحدوث والذي يعلم هيكل انه لا يحدث .. فقرار مجلس الامن ومقترحات روجرز تربطان الانسحاب من « اراضي احتلت في حرب حزيران » بالاعتراف الرسمي بحدود آمنة لاسرائيل ، وبانهاء حالة الحرب والعداء والكراهية ووقف التدخل في شؤونها الداخلية لاية اسباب سياسية او اقتصادية او غيرها ، وبمنع اعمال العنف النظامية وغير النظامية وبجعل القدس مدينة « موحدة » مفتوحة اي ممر الى البلاد العربية وبفتح خليج العقبة وقناة السويس امام سفنها ، كل ذلك وفق وثيقة او وثائق نهائية وغير قابلة للنقض مطلقا تودع في الامم المتحدة ويضمن عدم الخروج عليها من قبل الدول الاربع الكبرى ..

حدود المعركة وحدود الانسحاب

كل هذا وغيره كثير يؤكد ان اسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة ليست غبية ويعرف هيكل ذلك .. اذن يظن هيكل (الذي ما آمن يوما بالجماهير والذي قالت فيه الجماهير العربية في مصر كلماتها الصريحة ابان مظاهرات الطلاب) ، يظن ان الجماهير العربية بالغة من الغباء حدود تصديق ما ارتأى ان الدعاية للحل السلمي قد استوجبته كتغيرات لا في قرار مجلس الامن ومقترحات روجرز ، بل في الموقف الهيكلي منهما ..

اما اذا كانت العلاقات العربية بقضية فلسطين تنتهي عند حدود الانسحاب فالامر الذي نود ان نسأل هيكل عنه هو : لماذا كانت هنالك علاقات عربية بقضية فلسطين قبل احتلال الاراضي العربية عام ١٩٦٧ .. بل ان امجادا وامجادا اعقاب اكبر هزيمة عسكرية أصبنا بها وليس في اعقاب النصر او الانتصارات .. ان قرار مجلس الامن الذي يريد هيكل الحديث عنه لا علاقة له بالمقترحات الامريكية قد أقر بعد الهزيمة مباشرة .

٢ ـ وهنا يجب أن نؤكد للاستاذ هيكل الكثير كثيرا ما نستشهد بالتاريخ ، أن التاريخ لم يعرف اية « تسوية » بين منتصر ومهزوم .. انما عرف دائما وثائق استسلام المهزوم للمنتصر ..

٤ ـ ان الصورة التي قدمها هيكل لتسوية الصراع بين العرب والولايات المتحدة مقاربة للحقيقة ، وتفترض مستوى ادنى كي يصبح التخلص اسهل !

ان صراعنا مع الولايات المتحدة ، لا يقل حدة عن صراع الوجود وهو في الوقت نفسه ينحل الى صراعنا مع اسرائيل ليصير صراع وجود بالنسبة .. ان أمركا ليس لها في فلسطين هذا الحجم من المصالح الذي يدفعها الى تبني موقف اسرائيل .. وهي تتبنى ذلك الموقف لان لها مصالح في البلاد العربية ولان انهيار الاحتلال الاستعماري القديم .. وضعف النظم الرجعية التي تحمي تلك المصالح لم يبق لها الا الاستغلال الاقتصادي الجديد الذي تشكل اسرائيل قاعدته العسكرية والاقتصادية وان انفتاح اسرائيل على الارض والسوق العربية حتى من ضمن حدود اصغر من حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ هو المدخل الى تنفيذ مهمات الاستعمار الحديث في المنطقة (راجع تفصيلات هذا الموضوع في مكان آخر من هذا العدد) .

لماذا قبلت اسرائيل ؟

■ في حديث هيكل عن الاشياء التي قد تغري قبول اسرائيل بالمقترحات الامريكية يأتي ما يلي :

« هل ان الائتلاف الحاكم في اسرائيل يقبل بالانسحاب طبقا لقرار مجلس الامن وهل يرضى الائتلاف الحاكم بوقف اطلاق النار مؤقت بدل وقف اطلاق نار دائم وهل يوافق الائتلاف الحاكم على التخلي عن مطلب المفاوضات المباشرة ؟ »

من الممكن الاجابة على هذه النقاط المختصرة باجوبة مختصرة

١ ـ الائتلاف الحاكم في اسرائيل لم يضرب فيتنام الشمالية بالقنابل من ١٩٦٥ حتى عام ١٩٦٩ ، وفي اللحظة التي اوقفت فيها الضربة جلس الطرفان الى طاولة المفاوضات . نحن في عداء مع الولايات المتحدة . وهذا العداء ليس هدفه القضاء عليها . تعادي الولايات المتحدة بسبب سياستها . لقد ادرك الفيتناميون الشماليون ان عداءهم مع الولايات المتحدة هو عداء سياسي ولذا جلسوا يتفاوضون معها ، اما عداؤهم مع فيتنام الجنوبية فانه عداء وجود .

ان في هذه الفقرة من حديث هيكل خلطا من المغالطات يتجاوز كل حد :

١ ـ يقول هيكل صراحة ان قصف امريكا لفيتنام الشمالية قد جعل الفيتناميين يدركون ان عداءهم مع الولايات المتحدة هو عداء سياسي فجلسوا يتفاوضون معها .. ان هيكل يهملنا القول بتجاوز كل المنطق بعد أن يتنقص انتقاصا بالغا من نضال شعب فيتنام .. فامريكا هي التي جلست مع الفيتناميين ومع جبهة التحرير الوطني الفيتنامي وبالضبط عندما شعرت بعجزها عن الانتصار العسكري ..

٢ ـ ان هذا الوضع لمغلوب على قمة رأسه عند قياسه بالوضع العربي .. فنحن نجلس على طاولة مفاوضات أو طاولتين لا فرق.. مع اسرائيل عدو الوجود وليس مع أمريكا .. ونجلس في اعقاب اكبر هزيمة عسكرية أصبنا بها وليس في اعقاب النصر او الانتصارات .. ان قرار مجلس الامن الذي يريد هيكل الحديث عنه لا علاقة له بالمقترحات الامريكية قد أقر بعد الهزيمة مباشرة .

٣ ـ وهنا نجب أن نؤكد للاستاذ هيكل الكثير كثيرا ما نستشهد بالتاريخ ، أن التاريخ لم يعرف اية « تسوية » بين منتصر ومهزوم .. انما عرف دائما وثائق استسلام المهزوم للمنتصر ..

٤ ـ ان الصورة التي قدمها هيكل لتسوية الصراع بين العرب والولايات المتحدة مقاربة للحقيقة ، وتفترض مستوى ادنى كي يصبح التخلص اسهل !

ان صراعنا مع الولايات المتحدة ، لا يقل حدة عن صراع الوجود وهو في الوقت نفسه ينحل الى صراعنا مع اسرائيل ليصير صراع وجود بالنسبة .. ان أمركا ليس لها في فلسطين هذا الحجم من المصالح الذي يدفعها الى تبني موقف اسرائيل .. وهي تتبنى ذلك الموقف لان لها مصالح في البلاد العربية ولان انهيار الاحتلال الاستعماري القديم .. وضعف النظم الرجعية التي تحمي تلك المصالح لم يبق لها الا الاستغلال الاقتصادي الجديد الذي تشكل اسرائيل قاعدته العسكرية والاقتصادية وان انفتاح اسرائيل على الارض والسوق العربية حتى من ضمن حدود اصغر من حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ هو المدخل الى تنفيذ مهمات الاستعمار الحديث في المنطقة (راجع تفصيلات هذا الموضوع في مكان آخر من هذا العدد) .

لماذا قبلت اسرائيل ؟

■ في حديث هيكل عن الاشياء التي قد تغري قبول اسرائيل بالمقترحات الامريكية يأتي ما يلي :

« هل ان الائتلاف الحاكم في اسرائيل يقبل بالانسحاب طبقا لقرار مجلس الامن وهل يرضى الائتلاف الحاكم بوقف اطلاق النار مؤقت بدل وقف اطلاق نار دائم وهل يوافق الائتلاف الحاكم على التخلي عن مطلب المفاوضات المباشرة ؟ »

من الممكن الاجابة على هذه النقاط المختصرة باجوبة مختصرة

١ ـ الائتلاف الحاكم في اسرائيل لم

التناقض مع امريكا واسرائيل

■ بعد كل هذه التجاوزات والتحريفات في حديث هيكل عن قرار مجلس الامن وعن مقترحات روجرز .. ينتقل الى الحديث عن الولايات المتحدة واسرائيل فيقول :

« مما لا شك فيه أن هنالك عداء بين الولايات المتحدة والامة العربية .. وبيننا وبين اسرائيل صراع حياة او موت » ..

ماذا يعني انهاء حالة الحرب والاعتراف بسيادة اسرائيل على الاراضي الفلسطينية العربية ، اذا لم يعن الاقرار بفوز اسرائيل في ذلك الصراع ثم تجميد حالة الفوز لها أي حالة الموت للعرب في ذلك الصراع ؟

ويكمل هيكل فيقول : « أما الذي بيننا وبين الولايات المتحدة فليس كذلك . ان الولايات المتحدة تعادينا بعدما ثبت لها ان اسرائيل خير من يضمن لها مصالحها في المنطقة عن طريق اخضاع العرب » .

اذن لماذا تغير امريكا موقفها ـ اذا كانت قد غيرت موقفها ـ ؟ هل هي لم تعد تبحث عمن تحمي لها مصالحها ؟..

ويستطرد : « ان الولايات المتحدة استمرت مقترحات روجرز مع العلم ان التناقضات التي تفجرت داخله بسبب ذلك القبول اقل بكثير من تلك التي تفجرت في الجانب العربي !

٢ ـ الائتلاف الحاكم في اسرائيل قبل بوقف اطلاق النار المؤقت لان امريكا (التي يخطىء هيكل في تقييم حجم عدائها لحركة التحرر العربي) ضمنت لاسرائيل بان فترة وقف اطلاق النار لن تؤدي الى اي تغير في ميزان القوى الراهن !

٣ ـ من المعروف ان اسرائيل كانت اسبق الى اقتراح « صيغة رودس » التي هي مفاوضات غير مباشرة مداخله بمفاوضات مباشرة .

ومع ذلك فان المسأله هذه اكثر خطورة فعندما يوقف هيكل الاعتراض الاسرائيلي عند هذه الحدود الهشة فهو في الحقيقة يكون قد قطع شوطا كبيرا في التفريط بالحقوق العربية .. اذ أن هذا التحديد يعني أن القبول العربي بسيادة وسلامة اسرائيل وغيرها من التنازلات يقف عند تلك الحدود المذكورة اعلاه : الانسحاب وقد تحدثنا عنه هنا وفي مكان اخر من العدد الحالي ..

اما الوقف المؤقت والوقف الدائم لاطلاق النار ، فان انهاء حاله الحرب الذي وافق عليه الطرف العربي يتجاوز ذلك بكثير ..

وياتي موضوع المفاوضات المباشرة وغير المباشرة هذا الموضوع الذي دأبت دعاية الحل السلمي تدفع بالرفض العربي منذ فترة طويلة بالتنازل عن القضايا الاساسية والتعلق بهذا القشر الفارغ الذي اسمه المفاوضات ..

ان المفاوضات غير المباشرة لا تختلف عن المفاوضات المباشرة .. واذا كان الحكام العرب عام ١٩٤٨ قد فاوضوا بشكل غير مباشر فان هذا لم يعفهم من حكم شعوبهم عليهم .. ان الشعب العربي غير معلق اطلاقا بشكل المفاوضات انه معلق بمضمون التنازلات التي قدمها الطرف العربي الرسمي من خلال قبوله بقرار مجلس الامن اولا وبالمقترحات الامركية ثانيا ..

التفريط بالارض وبحجوم القوى !

■ وبعد هذا يقول هيكل :

« الموضوع الاساسي هو الارض . لقد اتخذت مصر موقفا مبدئيا وهو أن الارض لا احد يملك حرية التصرف بها . في السياسة يمكن ان يقول اي واحد ما يريده ، اما التصرف بالارض المصرية او باية ارض عربية فليس مطروحا »

نحب أن نسأل هيكل على اي أساس يستند هذا القول ؟

الا يعني الاعتراف بسيادة اسرائيل على ارض فلسطين ، تصرفا بارض فلسطين ؟

ثم ما الفارق بين الاراضي التي احتلت عام ١٩٤٨ والتي احتلت عام ١٩٦٧ حتى يصبح اعطاء الاولى رسميا لاسرائيل « عدم تفريط بالارض » سوى أن الاولى قد احتلت قبل الثانية بـ ١٩ عاما ؟

فهل اذا مضى بطريقة من الطرق ١٩ عاما على عام ١٩٦٧ يصبح الاعتراف بحدود اسرائيل كما هي الان شرعيا ؟.

■ وبعد أن سقط هيكل مرارا في تناقض جدري بين القول بان اي اتفاق يعكس حجوم القوى في طرفيه وبين قوله أن قرار مجلس الامن كان اكثر مما نستحقه وانه حتى الان يحتاج منا الى قتال وتضحيات من اجل تنفيذه ، بعد هذا ويكون قد شعر بوطأة التناقض يعود الى الحديث عن « المبادرة » الامريكية ليقول « ان قوتنا هي التي فرضتها » ، متناسيا قوله في السابق وقول غيره انها اجراءات تستهدف تنفيذ قرار مجلس الامن

.. وقول الرئيس جمال عبد الناصر ان امريكا قد ضمنت منذ البداية تنفيذ قرار مجلس الامن .. واذا قرنا هذا الضمان الى القول ان قرار مجلس الامن « اكثر مما كنا نستحقه » يتبين لنا من اين اتى هيكل بهذا التفريق بين عدائنا لامريكا وعدائنا لاسرائيل .. بل ويكون ظالما لامريكا . اذ انها بناء على سياق قوله قد ضمنت منذ البدء تنفيذ ما لا نستحقه ..

قلنا بعد هذا يتحدث عن فرض قوتنا على الولايات المتحدة الذي دفعها الى المبادرة اذ يقول :

« المقترحات الامريكية فرضتها ظروف ابرزها القدرة الذاتية المصرية وامكان بناء جيش قوي . لقد اعيد بناء الجيش المصري على مستوى حديث جدا . وتبقى مشكلة التفوق الجوي »

ثم يقول مرة اخرى :

« والمبادرة الامريكية لم تأت طواعية وانما لضغوط فرضتها اوضاع سياسية عربية اهمها ثورة ليبيا ، بالاضافة الى التبدل الجذري في الوضع العسكري المصري »

ويقول مرة ثالثة :

« واعود الى التأكيد أن قوتنا العسكرية التي وصلنا اليها بالاضافة الى موازين القوى الدولية هي التي اضطرت الولايات المتحدة الى تقديم المقترحات » .

هذا ما يتحدث به عن الجيش المصري في صدد استخدامه لقوة هذا الجيش من اجل الاقناع بالحل السلمي .. اما اذا ما جاء الحديث عن الجيش المصري والشعب المصري بصدد الحرب والتحرير فانه ينقلب الى مشكك بهما اذ يقول :

« الحرب الحديثة معقدة جدا . القضية ليست قضية شعب مما وسلاح متوافر واداء قسم التحرير . هنالك تصاعد في علم الحرب . في تكنولوجيا الحرب . ان الحرب التي جرت عام ١٩٦٧ انتهت . حرب الضربة الجوية والمدرعات والطوابير المتقدمة في الصحراء انتهت . لقد بتنا جيشا بعد ١٩٦٧ للحرب التي انهت ودخول الحرب الالكترونية يتطلب جيشا من نوع جديد . انه منذ ما بعد حرب ١٩٦٧ يجري العمل لبناء جيشين الجيش الذي انهينا من بنائه كانت مواصفاته مطابقة لمواصفات الستينات . ويجري الان بناء جيش طبقا لمواصفات السبعينات وهو جيش الحرب الالكترونية » .

ماذا يعني هذا الكلام اذا لم يكن نقضا لكل الكلام السابق ؟ أليس يعني تعريضا بقدرات الجيش المصري وارهابا له من الحرب ؟ وهل يسمح لنا هيكل أن نفهم من تعريضه هذا بالجيش أن هنالك من يرفضون الحل السلمي هناك ... وذلك على اساس أن الهجمة الاعلامية للانظمة لم تتعرض لاحد الا للذين يرفضون الحل السلمي ؟

الضغط على عروبة مصر !

■ ويكون هيكل بين الاشادة بالجيش المصري كضاغط من اجل الحل السلمي وبين التعريض به لابعاده عن فكرة الحرب والتحرير ، يكون قد مر على موضوع آخر بالغ الاهمية اذ يقول :

« ان امام العالم العربي خارج مصر مشكلة كبيرة . فواجهه ليس فقط أن يحارب من اجل الاراضي المحتلة ، وانما عليه ان يقاتل ويبذل جهدا من اجل المحافظة على عروبة مصر . ان المصريين يفكرون دائما في مسؤولياتهم القومية . وظهر واضحا خلال الجلسة التي عقدها المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي العربي واجاب فيها الرئيس عبد الناصر عن اسئلة قدمها اعضاء المؤتمر . ان مضمون الاسئلة كان يعبر عن هاجس المصري ازاء سوريا ولبنان والاردن والمقاومة الفلسطينية . وللاسف فان احدا (هكذا دون استثناء اي قطاع من الجماهير العربية) خارج مصر لا يقدر ظروف مصر وما يجب أن يفعله لها .

ينبغي أن يعرف العالم العربي أن عليه ان يساعد العناصر العربية في مصر المؤمنة بعروبة مصر . ذلك بأنه اذا كان هناك بلد عربي عنده امكانات الانفصال فهو مصر . لقد عاش الشعب المصري فترة من تاريخه في عزلة عن العالم العربي .. فهو يملك مقومات الدولة وامكانات بناء تقدم مستقل وهذا أمر غير متوفر في أي بلد عربي غير مصر . ومن شأن زيادة التضغط على مصر الى حد التشهير الرخيص كما نرى الان يحدث مراجعات خطيرة » .

ليعذرنا السيد هيكل اذا توقفنا قليلا امام هذا المقطع مؤكدين له ما يلي :

١ ـ ان مصر لا تقبل أن تعتبرها بلدا اجنبيا فيه « عناصر عربية مؤمنة بعروبتها » وان في هذا القول مغالطة للتاريخ وللواقع .. فان مصر عربية وصادقة في عروبتها قبل أن توجد العناصر المشار اليها .. بل اكثر من ذلك ان عروبة شعب مصر هي التي ادت الى وجود هذه العناصر .. وفي جميع اطوار النهضة العربية كانت مصر بمشاعر شعبها وبنضاله قدوة تلك النهضة ..

فمحمد علي .. لم يستطع حكم شعب مصر الا عندما طرح حكمه باتجاه عربي .. وحركة النهضة العربية الفكرية والسياسية كان محورها ومركزها مصر .. وفي حرب فلسطين عام ١٩٤٨ كان الشعب اسبق من نظامه الى التطوع فيها كقضية عربية مصيرية بالنسبة له .. وخيانة الرجعية الحاكمة في مصر ١٩٤٨ لقضية فلسطين العربية هي التي اشاعت واججت نضال الجماهير ضد تلك الرجعية الامر الذي مكن ثورة ٢٣ يوليو من الانفجار ..

٢ ـ اذ كنا كمقاومة نرفض قبول مصر بالحل السلمي فلاننا اشد شعورا بعروبة مصر من شعور محمد حسنين هيكل ذاته .. اذ لو لم تشعر المقاومة بمدى ارتباط شعب مصر العربي بعروبته لما كان لها الحق في التدخل بقرارات مصر حتى ولو تعرضت تلك القرارات لقضية المقاومة . اذ كانت تقف منها لا كحكم عربي مسؤول عن القضية بل كحكم اجنبي يتدخل في القضية .

٣ ـ ان احدا من الانظمة العربية التي تعيش تناقضا بينها كبنيان وبين جماهيرها لا يستطيع ان يقرر بان الضغط الشعبي عليه هو ضغط على الشعب ، بل على العكس واننا لمتأكدون من ان الشعب في مصر لم يرفض مثل الشعب العربي في كل مكان ان لم يكن قبله ، ان يجري تصرف باي قضية عربية ..
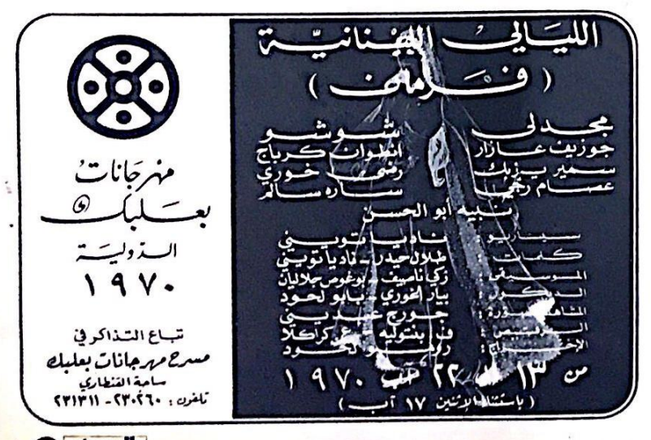
■ اما عما يتحدث به هيكل عن ان شعب وجيش مصر قد قدما من التضحيات ما هو اكبر بكثير مما قدمه اي شعب عربي آخر .. فنحن نوافق هيكل على هذه الحقيقة لكننا نختلف معه جذريا في مؤدى هذه الحقيقة .. فهذا الامر كان يجب ان يكون سببا من اجل تشديد نضال الجماهير ضد جميع الانظمة التي لا تسمح لشعوبها وجيوشها بتقديم التضحيات ، بدلا من ان يستعمل مبررا لنظام مصر كي يقبل الحل السلمي الذي يتعارض مع حجم فدسية تلك التضحيات ويجعلها تضحيات بدون قضية هذا الامر الذي يؤثر اكثر من اي شيء في عروبة مصر ان كان هنالك ما يؤثر في تلك العروبة .